**المحاضرة الثامنة**

**أصل الاسرة العربية**

ان قضية اصل الاسرة العربية هي من القضايا التي اثارت جدلاً واسعاً ومستمراً بين علماء الانسان والتاريخ والاديان ومؤرخي الاسرة، هل انبعثت عن العشيرة الامومية او الابوية، ثم تطورت هذه الى الاسرة الممتدة المتفرعة ثم الى الاسرة النواة؟ وهل خضعت الاسرة العربية لنفس خطوات ومراحل التطورات التي عرفتها الاسرة الغربية والتي توصل دارسوها الى تحديد خط المسار الذي سبقت الاشارة اليه، او ان الاسرة العربية عرفت طريق آخر خاصاً للتطور؟

يرى الدكتور زهير حطب، انه لا يمكن الجزم بصورة قاطعة في هذا الموضوع، وفي هذا الشأن يقول:

"الدارسون الغربيون بنو دراستهم على معطيات دقيقة والمام بتاريخ القبائل المنتشرة في امريكا واستراليا وجزر المحيط الهادي، وعلى ما برحت تقدمه تلك القبائل من معطيات يمكن للانثروبولوجيين المعاصرين تناولها ودراستها. اما مما يتعلق بالقبائل العربية فهناك عدم توفر وضياع كامل لتاريخ القبائل البائدة في الجاهلية الاولى. فقد فقدت اخبارها قبل الجاهلية الثانية، اي العصور القليلة السابقة لظهور الاسلام.

ان قبائل عصر الجاهلية الاولى واخبارها تقابل القبائل العربية التي بنيت عليها دراسة اصل الاسرة العربية، من هنا سنعتمد الى ما تواتر الينا من اخبارها عبر الجاهلية الثانية، والى الاثار القليلة التي بقيت منها. مع بعض ما خلفته في حياة القبائل العربية الباقية في انماط سلوك ومظاهر حياة، تجمع اشتات ذلك كله، ونعيد بناءه بناء موحداً تظهر فيه صورة الحياة خاصة نظام معيشة هذه القبائل وما تعلق منه بالأزواج واصل الاسرة.

فاذا ما رجعنا الى قبل التاريخ في اواسط الجزيرة العربية فأننا نجد ان الجماعات التي عاشت بها في تلك الفترة مثلها مثل غيرها من الجماعات البشرية في اماكن اخرى من العالم، لم تكن قد عرفت استئناس وتدجين الحيوانات ورعايتها وتربيتها، ولا عرفت الزراعة، بل كان اقتصادها وغذائها الاساس يقوم على الجمع والالتقاط والصيد، وهو اقتصاد لم يكن يوفر الا الضروري في الغذاء وفي احيان كثيرة لا يوفر حتى الضروري منه.

ان قلة الغذاء ونقص الموارد ادت الى ان يقاسم الذكور ما يجدونه من صيد او ثمار ويمنعونه عن النساء وذلك لعدم مشاركتهن في الصيد من جهة ولضآلته من جهة ثانية، وقد وصل الامر بكثير من القبائل العربية الى وأد البنات توفير للغذاء خاصة وان النساء حسب اعتقادهم كن غير منتجات في مجال الصيد والجمع والالتقاط، ان انتشار ظاهرة وأد البنات في الجاهلية بشكل واسع ادى الى نزول آيات في القرآن الكريم تحرم وأد البنات، مثل قوله تعالى "واذا بشر احدهم بالأنثى ضل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به يمسكه على هون ام يدسه في التراب الا بئس ما يفعلون" وقوله تعالى: "لا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئاً كبيراً".

وقال تعالى" قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله، قد ضلوا وما كانوا مهتدين" ولشحة عدد النساء للأسباب التي وضحت انفا ظهر[[1]](#footnote-1)\* نمط الزواج بالحرائر لتوفير امكانية اقامة الاحلاف والانتماء الى قبيلة قوية فما يكسب القبيلة الاخرى القوة والرفعة ذاتها.

لقد وصلت المرأة في الجاهلية الى مكانة من المهانة لم تصل اليه المرأة في أي مجتمع اخر، فكان العرب يعدونها متاعاً فحسب وكان للرجل مطلق الحرية في الجمع بين اكثر من زوجة فضلاً عن انه له مطلق الحرية في تطليق زوجته او زوجاته وقت ما شاء فضلا عن انتشار زواج المتعة او الزواج المؤقت بين عرب الجاهلية.

لقد كانت المرأة توأد وهي طفلة، تسبى في الحروب، وتحرم من الميراث، فضلاً عن ان المرأة كانت تورث مع المال والماشية وتباع وترهن، فإذا امات زوجها وورثها ابنه الاكبر فأن شاء تزوجها او زوجها لغيره واستولى على مهرها. والى ذلك اشار القرآن الكريم ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه فاحشة ومقتا وساء سبيلاً".

كما اوضحنا نتيجة وأد البنات شح عدد النساء في بعض العشائر والقبائل الامر الذي نتج عن ظهر الزواج الخارجي، بمعنى بحث الرجال عن نساء من خارج العشيرة. كذلك بسبب شحة عدد النساء اقتضت الضرورة الاجتماعية الى ان تكون النساء في العشيرة لكل رجالها فتعدد الازواج مما يتعلق بالمرأة الواحدة. ولعل من مظاهر تعدد الازواج ما كان يعرف في الجاهلية بزواج الرهط. والمخاذنة فضلاً عن انتشار ظاهرة البغاء اذ كانت تقام للنساء في المدن بيوتات تدعى "المواخير" وفي الاسواق الموسمية كسوق عكاظ وذي المجاز ودومة الجندل كان لهن بيوت من شعر. وكانت ترفع على بيوت البغايا رايات حمر تدل عليهن فكن يدعون بأصحاب الرايات.

فضلاً عن ذلك عرفت الجاهلية نكاح البدل او تبادل الزوجات، وعادة تبادل الزوجات معروفة عند بعض القبائل الافريقية وعند سكان جزر هاواي الامريكية وفي بعض جبال همالايا والتبت، كذلك عند الاسكيمو وعند بعض قبائل الفليت ومدغشقر كما وجدت في بلاد فارس اذ شاعت تعاليم مردوك الداعي الى شيوعية الاموال والنساء، ويعد تبادل الزوجات من مظاهر الود والصداقة او لمجرد التغيير فترى بعض القبائل التي تتبادل الزوجات انهم لا يصبرون على طعام واحد. وقد ينقلب التبادل المؤقت الى زواج مستديم اذا رأى الزوجان انهما اسعد حالاً في حياتهما الجديدة.

ان تبادل الزوجات اضحى شائعاً في الوقت الحاضر في اوربا وامريكا ويعد من باب التمتع بالحرية الشخصية والتحرر من القيم التقليدية ويجري بموافقة الطرفين وقد اقيمت له نواد خاصة يؤمها المتزوجون ولها صحفها ومجلاتها الخاصة كذلك.

اما ما يتعلق ببنية الاسرة في الجاهلية "كانت الاسرة تضم رب الاسرة مع ابنائه وزوجاتهم وبناته غير المتزوجات واحفاده جميعاً. وكانوا يقيمون سوياً وكانت لرب الاسرة السلطة على الجميع وله الملكية التامة على كل ما يملكون ومجموعة الاسر تكون عشيرة او تعيش هذه الاسر في تداخل مستمر مع بقية ارهاط الفخذ الذي تنتمي اليه والفرد في العشيرة او القبيلة ليس له كيان مستقل عن الكيان الجماعي الذي يتحكم في معيشته في المجالات كافة فالفرد في علاقاته الخارجية يعرف من خلال القبيلة التي هو منها اما في علاقاته داخل القبيلة فيعرف من خلال انتمائه الى فصيلة او عشيرة محددة.

1. (\*) لقد كانت مؤسسة الزواج في الجاهلية تعيش في فوضى، فقد كان عدد الزوجات غير محدد، بل مطلق، كما كانت هناك العديد من نماذج الزواج شائعة بين عرب الجاهلية، مثل نكاح الاستبضاع، زواج الرهط، زواج المتعة، زواج الشغار.. الخ. [↑](#footnote-ref-1)